تفسير إبن كثير

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ

يخبر تعالى عن كفر قريش وعتوهم وتمردهم وعنادهم ، ودعواهم الباطل عند سماع آياته حين تتلى عليهم أنهم يقولون : (قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) وهذا منهم قول لا فعل ، وإلا فقد تحدوا غير ما مرة أن يأتوا بسورة من مثله فلا يجدون إلى ذلك سبيلا .

وإنما هذا قول منهم يغرون به أنفسهم ومن اتبعهم على باطلهم .وقد قيل : إن القائل لذلك هو النضر بن الحارث - لعنه االله - كما قد نص على ذلك سعيد بن جبير ، والسدي ، وابن جريج وغيرهم ؛ فإنه - لعنه االله - كان قد ذهب إلى بلاد فارس ، وتعلم من أخبار ملوكهم رستم واسفنديار ، ولما قدم وجد رسول االله - صلى االله عليه وسلم - قد بعثه االله ، وهو يتلو على الناس القرآن ، فكان إذا قام - صلى االله عليه وسلم - من مجلس ، جلس فيه النضر فيحدثهم من أخبار أولئك ، ثم يقول : باالله أيهما أحسن قصصا ؟ أنا أو محمد ؟ ولهذا لما أمكن االله تعالى منه يوم بدر ووقع في الأسارى ، أمر رسول االله - صلى االله عليه وسلم - أن تضرب رقبته صبرا بين يديه ، ففعل ذلك ، والله الحمد . وكان

الذي أسره المقداد بن الأسود - رضي االله عنه - كما قال ابن جرير :حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قتل النبي - صلى االله عليه وسلم - يوم بدر صبرا عقبة بن أبي معيط وطعيمة بن عدي ، والنضر بن الحارث . وكان المقداد أسر النضر ، فلما أمر بقتله ، قال المقداد : يا رسول االله ، أسيري . فقال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : إنه كان يقول في كتاب االله - عز وجل - ما يقول . فأمر رسول االله - صلى االله عليه وسلم - بقتله ، فقال المقداد : يا رسول االله ، أسيري . فقال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : اللهم أغن المقداد من فضلك . فقال المقداد : هذا الذي أردت . قال : وفيه أنزلت هذه الآية : (وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين)وكذا رواه هشيم ، عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية ، عن سعيد بن جبير ؛ أنه قال : " المطعم بن عدي بدل " طعيمة " وهو غلط ؛ لأن المطعم بن عدي لم يكن حيا يوم بدر ؛ ولهذا قال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - يومئذ : لو كان المطعم حيا ، ثم سألني في هؤلاء النتنى لوهبتهم له - يعني : الأسارى - لأنه كان قد أجار رسول االله - صلى االله عليه وسلم - يوم رجع من

الطائف .ومعنى : (أساطير الأولين) وهو جمع أسطورة ، أي : كتبهم اقتبسها ، فهو يتعلم منها ويتلوها على الناس . وهذا هو الكذب البحت ، كما أخبر الله عنهم في الآية الأخرى : (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيما) [الفرقان : 5 ، 6] . أي : لمن تاب إليه وأناب ؛ فإنه يتقبل منه ويصفح عنه .